

تفسير البحر المحيط

@ 335 @ الإتيان بالوعد ولقرب ذلك كان العطف بالفاء ويمكن أن يقدر ما يصحّ العطف بالفاء عليه أي فواعدهم العذاب بعد ثلاث فانقضت { فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ } ولا منافاة بين { فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ } وبين { فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ } وبين { فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ } كما ظنّ قوم من الملاحدة لأنّ الرجفة ناشئة عن الصيحة صيح بهم فرجفوا فناسب أن يسند الأخذ لكل واحد منهما وأما فأهلكوا بالطاغية فالباء فيه للسببية أي أهلكوا بالفعل الطاغية وهي الكفر أو عقر الناقة والطاغية من طغى إذا تجاوز الحدّ وغلب ومنه تسمية الملك والعاتي بالطاغية وقوله { إِنَّ زَلْزَلًا لَمَّسًا * طَغَى * } الممّاء { وقال تعالى : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا } أي بسبب طغيانها حصل تكذيبهم ويمكن أن يراد بالطاغية الرجفة أو الصيحة لتجاوز كل منهما الحدّ . { فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ * قَوْمِ * لَقَدْ أَهْلَكْتُم مِّن رَّسَالَةِ رَبِّي وَزَعَمْتُمْ لَكُم مِّنْ وَلَدَيْنَا لَآءَ تَحْيِيٍّ } الذّٰلِحِينَ { ظاهر العطف بالفاء أنّ هذا التولي كان بعد هلاكهم ومشاهدة ما جرى عليهم فيكون الخطاب على سبيل التفجّع عليهم والتحسّر لكونهم لم يؤمنوا فهلكوا والاعتماد لهم وليسمع ذلك من كان معه من المسلمين فيزدادوا إيماناً وانتفاء عن معصية الله واقتضاء لما جاء به نبيه عن الله ويكون معنى قوله ولكن { لَآءَ تَحْيِيٍّ } الذّٰلِحِينَ { ولكن كنتم لا تحبون الناصحين فتكون حكاية حال ماضية وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أهل قليب بدر وروي أنه خرج في مائة وعشرين من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفاً وخمسائة دار ، وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ، وقيل : كان توليه عنهم وقت عقر الناقة وقولهم { انْزِلْنَا بِمَنَا تَعْدُنَا } وذلك قبل نزول العذاب وهو الذي يقتضيه ظاهر مخاطبته لهم وقوله { وَلَدَيْنَا لَآءَ تَحْيِيٍّ } الذّٰلِحِينَ { وهو الذي في قصصهم من أنه رحل عنهم ليلة أن أخذتهم الرجفة صبحتها ، وبعد ظهور أمارات الهلاك التي وعد بها قال الطبري : وقيل لهم تهلك أمة ونبيها فيها ، وروي أنه اترحل بمن معه حتى جاء مكة فأقام بها حتى مات ولفظة التولي تقتضي اليأس من خيرهم واليقين في هلاكهم وخطابه هذا كخطابهم نوح وهود عليهما السلام في قولهما { أَهْلًا غُتُّكُمْ رَّسَالَاتِ رَبِّي } وذكر النصّ بعد ذلك لكنه لما كان قوله { أَهْلًا غُتُّكُمْ } ماضياً عطف عليه ماضياً فقال : { وَزَعَمْتُمْ لَكُم مِّنْ رَّسَالَةِ رَبِّي } وقوله : { لَآءَ تَحْيِيٍّ } الذّٰلِحِينَ { أي من نصح لك من رسول أو غيره أي ديدنكم ذلك لغلبة شهواتكم على عقولكم . وجاء لفظ { الذّٰلِحِينَ } عاملاً أي

أيّ شخص نصح لكم لم تقبلوا في أي شيء نصح لكم وذلك مبالغة في ذمّهم . .
وروي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من مائها ولا يستقوا منها فقالوا : يا رسول الله قد طبخنا وعجنّا ، فأمرهم أن يطرحوا ذلك الطبخ والعجين ويهرقوا ذلك الماء وأمرهم أن يستقوا من الماء الذي كانت ترده ناقة صالح وإلى الأخذ بهذا الحديث ، أخذ أبو محمد بن حزم في ذهابه إلى أنه لا يجوز الوضوء بماء أرض ثمود إلا إن كان من العين التي كانت تردها الناقة ، وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم) لما مرّ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه : (لا يدخل أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم) وفي الحديث أنه مر بقبر فقال { فَيَقُولُ مَا هَذَا } ؟ قالوا لا قال (هذا قبر أبي رغال الذي هو أبو ثقيف كان من ثمود فأصاب قومه البلاء وهو بالحرم فسلّم فلما خرج من الحرم أصابه فدفن هنا وجعل معه غصن من ذهب) قال فابتدر القوم بأسيا فهم فحفروا حتى أخرجوا الغصن . .

{ وَلَوْ طًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلَاخِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } هو لوط بن هارون أخي إبراهيم عليه السلام وناحور وهم بنو تارح بن ناحور وتقدّم رفع نسبه وقوله هم أهل سدوم وسائر القرى المؤتفكة بعثه الله تعالى إليهم ، وقال ابن عطية بعثه الله إلى أمّة تسمى